

الإمام ابن بري ونظمه "الدرر اللوامع قي أصل مقرأ الإمام نافع" -دراسة تحليلية-

الدكتور أبو بكر كافي

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

تعد قراءة الإمام نافع من القراءات المتواترة التي حظيت بالقبول وكان لها الانتشار الواسع عند المغاربة والأندلسيين لما عرفت به هذه القراءة من الصحة والشهرة ولما عرف به صاحبها من الإمامة والأتباع، حتى قال الإمام مالك: "قراءة نافع سنة"¹ ومن ثم أفرد لها كثير من علماء المغرب بالتأليف وجردوها بالتصنيف.

وكان "من أجل ما ألف فيها من المختصرات التي أغنت عن كثير من المطولات. أرجوزة الإمام الفاضل، العامل الكامل، القاري المحقق، والمقرئ المدقق، ذي العلوم الرائقة، والمصنفات الرائقة، أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين الرباطي المشهور بابن بري وهي المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع. فقد ضمنها قراءة نافع من روايتي قالون وورش، وبيّن الخلاف بينهما في الأصول والفرش. وأورد فيها ما أمكنه من الحجج والتوجيهات، مع الاختصار وقلة التعقيد في العبارات، ولذلك اعتنى كثير من الناس بحفظها، واشتغلوا بقراءتها وفهم لفظها. وقد شرحها جماعة من العلماء الفحول،

1- رواه أبو عمرو الداني بسنده عن سعيد بن منصور عن مالك. انظر المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع، لعبد الرحمن الثعالبي - طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، ص5.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي
فمنهم من أطال في بيان التعاليل والإعراب وجلب الضعيف من النقول , ومنهم من اختصر
وعقد العبارة واكتفى عن التصريح بالإشارة.¹

فلما كان هذا النظم بهذه المكانة العالية، والمترلة الرفيعة، وكنت - بفضل الله - ممن
اعتنى بهذا النظم حفظا ودراسة وتدريسا. أردت أن أعرف بصاحبه الإمام ابن بري، وأبين
مترلة نظمه وقيمته عند علماء المغرب و عنايتهم به تدريسا وشرحا، ميرزا مميزات هذا النظم
التي انفرد بها كذكر الخلاف والاختيار والتوجيهات والتعليلات، منها على بعض الأوهام
اليسيرة التي استدركت على الناظم - رحمه الله - ضمن مباحث ثلاثة:

المبحث الأول في التعريف بالإمام ابن بري، والمبحث الثاني: في التعريف بنظمه
الدرر اللوامع وعناية العلماء به، والمبحث الثالث في ذكر مميزات هذه المنظومة.

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن بري

اسمه ونسبه: هو أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين التازي الرباطي المغربي، عرف
بإبن بري، والرباطي نسبة إلى رباط تازة، وفي بعض الروايات الربضي نسبة إلى أحد أرباض
المدينة أي أحوازها.²

مولده ونشأته: ولد أبو الحسن ابن بري في حدود ستين وستمائة 660 هـ وأخذ
تعليمه ببلده، وكان والده من أهل العلم والفضل، فيكون قد أخذ عنه كثيرا خاصة في
مراحله الأولى. ثم استوطن تازة وبها أنهى دراسته، وكانت مدينة تازة من أهم المراكز العلمية
في العهد المريني لذلك رحل إليها كثير من أهل العلم والأدب واستوطنوها.

1- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع للشيخ إبراهيم المارغني، طبع تونس، ص3.

2- انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 220/7-221، والأعلام للزركلي 5/ 5، والقراء والقراءات
بالمغرب لسعيد اعراب-ط1- دار الغرب الإسلامي، ص22.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

كان ابن بري أحد الشهود العدول الذين يدعون عند القاضي للشهادة وغيرها، وقضى في ذلك مدة إلى أن ألحقه السلطان أبو سعيد المريني بديوانه في حدود سنة 715 هـ وجعله كاتب ولده أبي الحسن وأستاذه الخاص.

شيوخه ومزلقته العلمية: تلقى العلم ببلده عن والده، ثم تتلمذ على غيره، وشيوخه كثيرون لعل من أشهرهم: أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي المتوفى بتازة سنة 709 هـ وبرز ابن بري في علوم شتى فقد كان رحمه الله عالما بالقراءات، متبحرا في علوم القرآن، وإلى جانب ذلك كان عالما نحويا، وأديبا بليغا، وفقهيا فرضيا، له إلمام بالحديث وتبصر بصناعة التوثيق.

تلاميذه: تتلمذ عليه كثيرون من بينهم:

أبو الحجاج يوسف بن علي السدوري المكناسي ثم الغرناطي: كان يحضر مجالس إلقاء ابن بري بجامع القرويين بفاس سنة 723 هـ، وهناك أخذ عنه منظومة الدرر اللوامع وأقرأها بدوره في المدرسة اليوسوفية بغرناطة سنة 744 هـ¹.

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن سعيد: وهو الذي خلف ابن بري على كرسي الإلقاء بالقرويين².

أبو مهدي عيسى بن عبد الله الترجالي، ويعد من تلاميذه البارزين، ولي قضاء تازة وكان من شيوخها المرموقين، وهو الذي أوعز إلى السلطان بنقل ابن بري إلى فاس وجعله كاتباً في ديوانه، وأستاذا لولي عهده³، وغيرهم.

مصنفاته: لقد خلف رحمه الله تراثا قيما أثرى به المكتبة الإسلامية فمن آثاره⁴:

1 - انظر القراء والقراءات بالمغرب: ص28.

2 - انظر المصدر نفسه.

3 - انظر المصدر نفسه: ص27.

4 - انظر النجوم الطوالع: ص 175

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

- اختصار شرح الإيضاح لابن أبي الربيع الإشبيلي السبتي. في النحو
 - شرح تهذيب البرادعي للمدونة في الفقه، لكن لم يتمه.
 - شرح عروض ابن السقاط.
 - شرح وثائق الغرناطي.
 - تأليف: في الوثائق.
 - الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، وهو موضوع هذه الدراسة.
- وفاته: بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء توفي رحمه الله بتأزاة بالمغرب الأقصى، ودفن بها سنة 731 هـ وضرريحه مشهور خارج المدينة.

المبحث الثاني: التعريف بالدرر اللوامع

اسمها وأهميتها: تعرف هذه المنظومة بنظم ابن بري، أو البرية، واسمها الكامل " الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع " وتعد هذه المنظومة من أهم المنظومات في قراءة نافع عند المغاربة، فلقد طارت شهرتها في الآفاق، وغطت على كل ما ألف في هذا الباب، وكانت ولا تزال على رأس المتون العلمية التي يحفظها طلاب العلم في الغرب الإسلامي، وكانت محل عناية كثير من العلماء بالشرح والدرس، كما سيأتي تفصيل ذلك.

مضمونها: تتألف هذه المنظومة من ثلاثة وأربعين ومائتي (243) بيت، اشتملت على مقدمة بين منهجه فيها، وستة عشرة بابا تتضمن أهم الأصول، والقواعد الكلية وهذه الأبواب هي: باب الاستعاذة، باب البسملة، باب ميم الجمع، باب هاء الكناية، باب المد والقصر، باب أحكام الهمز المزدوج، باب أحكام الهمز المفرد، باب أحكام نقل الحركة، باب الإظهار والإدغام، باب الفتح والإمالة، باب الرءات، باب اللامات، باب كفيات الوقف، باب ياءات الإضافة، باب ياءات الزوائد، باب فرش الحروف. ثم ذيلها بأبيات في مخارج الحروف وصفاتها، لأهميتها وحاجة قراء القرآن إليها، وهي ملحقة بالمنظومة في كثير

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي
من النسخ، وقد بلغ هذا الدليل ثلاثين بيتاً، فيكون مجموع المنظومة وذيلها ثلاثة و سبعين
ومائتي بيت (273).

منهجها: لقد وضع المصنف - رحمه الله - منهاجاً خاصاً به في هذا النظم، أبان عنه
في مطلع هذه الأرجوزة ، فبعد حمد الله ، والصلاة على نبيه - صلى الله عليه وسلم - ذكر
بفضل القرآن وحملته، مضمناً بعض ما ورد في ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم
بيّن أن غرضه من هذا النظم هو ذكر الأصول والقواعد الكلية وبعض الفرشيات التي
لا طرادها تجري مجرى الأصول في قراءة الإمام نافع المدني.

وقصده من هذا النظم أن يكون تبصرة وتعليماً للمبتدئين في هذا الفن، وتذكرة
للمقرئين المنتهين، وجعله على بحر الرجز ليسهل حفظه وتذكره، لأن النظم أسهل في الحفظ
من النثر غالباً، ثم بيّن أنه يورد قراءة الإمام نافع من رواية الإمامين ورش وقالون، سالكا في
ذلك كله طريق الإمام أبي عمرو الداني دون غيره من الأئمة كمكي بن أبي طالب صاحب
"التبصرة" أو أبي عبد الله محمد بن شريح صاحب "الكافي"، وعلل اختياره لطريق الداني
بتبحره في الحفظ والإتقان والتقدم في هذا الشأن. فقال:

سلكت في ذلك طريق الداني ** إذ كان ذا حفظ وذا إتقان

سند الإمام ابن بري إلى الإمام نافع: جرت عادة علماء القراءات المصنفين فيها
أن يذكروا أسانيدهم التي وصلت بها إليهم القراءات التي يذكرونها في مصنفاتهم، وابن بري
أراد أن يقتدي بهم في ذلك بنوع من الإيجاز الذي يتناسب مع هذا النظم المختصر، فقال:

حسبما قرأت بالجميع على ** ابن حمدون أبي الربيع

المقرئ المحقق الفصيح ** ذي السند المقدم الصحيح

ومرادُه أنه تلقى قراءة نافع على شيخه الحاج أبي الربيع سليمان بن محمد بن علي بن
حمدون الشريشي (ت 709 هـ) ووصفه بالتحقيق والفصاحة والتقدم وعلو الإسناد وصحته.
وقد تلقى ابن حمدون عن أبي بكر بن فحلون السكسكي عن أبي مصعب اللخمي، عن أبي

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

منصور مظفر اللحمي، عن السرقسطي، عن أبي داود سليمان بن نجاح، عن أبي عمرو الداني 1، ولأبي الربيع شيوخ آخرين وأسانيد أخرى ذكرها الإمام الخراز في شرحه 2، وأسانيد الإمام الداني معروفة ومشهورة قد ذكرها في مقدمة "التيسير في القراءات السبع" 3.

اصطلاحاته في نظمه: جرت عادة أصحاب المتون والمختصرات أن يصطلحوا على بعض الأمور، مبالغة في الإيجاز وتقليل الألفاظ، ومعرفة هذه المصطلحات من الأهمية بمكان، إذ بها تستفاد الأحكام من منطوق النص ومفهومه، والغفلة عن هذه الاصطلاحات توقع في الخلل والخطأ في فهم الكلام واستثمار الأحكام، والناظم قد اصطلح في نظمه على بيان أحكام قراءة نافع بطريقة وجيزة وسهلة أشار إليها بقوله:

بينت ما جاء من اختلاف ** بينهما عنه أو ائتلاف

وربما أطلقت في الأحكام ** ما اتفقا فيه عن الإمام
وحاصل هذه الاصطلاحات سبعة وهي⁴:

— أن يسند الحكم لورش وحده فيعلم أن قالونا روى خلافه، كقوله: أبدل ورش كل فاء سكنت، ونحوه.

— أن يسند الحكم لقالون وحده فيعلم أن ورش روى خلافه، كقوله: واقصر لقالون يؤده معا، ونحوه.

— أن يسند الحكم إليهما مختلفين، كقوله:

وزاد عيسى الظاء والضاد معا ** وورش الإدغام فيهما وعى

1 - القراء والقراءات بالمغرب: ص 25.

2 - القصد النافع: ورقة 22

3 - ص 10-11.

4 - انظر النجوم الطوالع: ص 15، والمختار من الجوامع: ص 7 وتحصيل المنافع على كتاب الدرر اللوامع، للشيخ السملالي الكرامي الشنقيطي، مكتبة الكوثر، ص 60-61.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

— أن يسند الحكم إليهما متفقين، كقوله:

واتفقا بعد عن الإمام ** في سين سيئ سيئت بالإشمام

— أن يسند الحكم لنافع فيستفاد منه أن ورشا وقالونا متفقين عليه، كقوله:

فنافع بقصر يرضه قضى، ونحوه.

— أن يسند الحكم لجميع القراء، فيدخل في ذلك نافع من روايته، كقوله: وكلهم

رققها إن سكنت، ونحوه.

— أن يطلق في الحكم ولا يقيد به بقيد مما سبق، فيستفاد منه اتفاق ورش وقالون

عليه، وهو أقل الأنواع.

عناية العلماء بنظم ابن بري: لقد عني العلماء بهذا النظم عناية كبيرة، ولعل مرد

ذلك إلى ما اشتهر به صاحبه من إمامة وعلم، وما تميز به نظمه من سهولة معنى، وعذوبة

لفظ، وإيجازه واشتماله على كل الأحكام، إضافة إلى ما زاده من توجيهات وتعليلات لا

يستغنى عنها، وقد تنوعت هذه العناية إلى التعليم والتدريس والشرح والتعليق، والتتميم

والتفصيل، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أ/عناية العلماء بتدريس نظم ابن بري: كانت منظومة ابن بري من أهم المتون

العلمية التي تدرس في أهم المراكز العلمية في المغرب العربي، فمن كان يدرسها بتلمسان:

الشيخ أحمد بن موسى الشريف الإدريسي¹، والشيخ حدّو بن الحاج بن سعيد المناوي²،

والإمام ابن مرزوق التلمساني، ومن كان يدرسها بفاس ويجيزها للطلاب بالإسناد إلى

مؤلفها الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسين الشهير بالصغير من ألمع شيوخ ابن غازي وقد

1- انظر ترجمته في البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الشريف التلمساني، ط ديوان

المطبوعات الجامعية، ص 26-27.

2- انظر ترجمته في المصدر السابق: ص 95.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي
ذكر ذلك في فهرسه¹، ومن كان يدرّسها بفاس ويحيز بها الإمام أبو عبد الله الخراز²، وكان
الإمام ابن بري نفسه يقرئ هذه المنظومة بجامع القرويين بفاس ويحيزها من كان أهلاً لذلك،
ومن أخذها عنه أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدروسي المكناسي الغرناطي
سنة 723 هـ وأقرأها هو بدوره بالمدرسة اليوسفية بغرناطة سنة 774 هـ ثم خلفه في إقراءها
تلميذه أبو محمد القيحاطي³

ب/الإجازة بها: ولأهميتها كانت ضمن الكتب العلمية التي يجاز بها بالإسناد إلى
ناظمها كما تجد ذلك في كتب الفهارس والأثبات، فمن ذلك إجازة الإمام ابن مرزوق
التلمساني للإمام ابن غازي⁴، وفي إجازة أبي الحسن البلوي لابنه أبي جعفر أحمد بن علي
الوادي أشي الأندلسي⁵.

د/الشرح والتوضيح: قد اعتنى جماعة من العلماء بشرح هذه المنظومة وتوضيحها
وإن هذه الشروح من الكثرة بحيث يعسر حصرها كلها، لذا سنكتفي بذكر أهم هذه
الشروح التي طبعت، أو لها نسخ خطية في مكتبات العالم الإسلامي:

- من أقدم شراحها الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي الشهير
بالخراز، والإمام الخراز من معاصري، وقد سمي شرحه "المقصد النافع لبغية الناشئ والبارع
في شرح الدرر اللوامع" ويعد شرحه من أحسن الشروح، اعتمد فيه على أمهات كتب الفن
كمؤلفات الإمام الداني، وأبي العباس المهدوي، وأبي جعفر بن الباذش وغيرهم، وقد ناقش

1- انظر فهرس ابن غازي: ص 36.

2- فهرس ابن غازي: ص 96.

3- انظر الفراء والقراءات بالمغرب: ص 28.

4- فهرس ابن غازي، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، ص 184.

5- انظر ثبت أبي جعفر الوادي أشي دراسة وتحقيق د/عبد الله العمراني - ط دار الغرب الإسلامي،

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

الشارح الناظم في كثير من آرائه، وانتقده في بعض ما ذهب إليه، وتوجد من هذا الشرح نسخ خطية كثيرة، فهناك نسخة بالخزانة الحسنية برقم 3719، ونسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر¹، وتوجد منه نسخ في بعض الزوايا بالجزائر، وعندنا نسخة كاملة من هذا الشرح.

- محمد بن شعيب المجاصي اليصلي، وضع شرحه عام 725هـ توجد نسخة منه في الخزانة الحسنية بفاس رقم 11341 به 90 ورقة.

- أبو راشد يعقوب الحلفاوي، توجد نسخة من شرحه بالخزانة الحسنية برقم 6064 به 64 ورقة

- أبو سرحان مسعود بن محمد بن جموع الفاسي (ت1119هـ) في الروض الجامع في شرح الدرر اللوامع، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية برقم 119 مجموع 1 من 256 ورقة.

- سعيد بن سعيد بن الحاج الجزولي (ت718هـ) له معين الصبيان على الدرر اللوامع، توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية برقم 6035 به 57 ورقة.

- يحيى بن سعيد الكرامي السملالي الشنقيطي، له تحصيل المنافع على الدرر اللوامع، فرغ منه سنة 893، وللكتاب نسخ مخطوطة منها نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر برقم 1171، وبجوزتنا نسخة مخطوطة كاملة من هذا الشرح، وقد طبع الكتاب بمكتبة الكوثر بالملكة العربية السعودية سنة 1422هـ 2001 وقام بمقابلته وتصحيحه جماعة من الشيوخ الشناقطة، ومع ذلك فهذه النشرة مملوءة بالأخطاء المطبعية والتصحيحات، فالكتاب يحتاج إلى مزيد من التصحيح والعناية والضبط.

- أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي الجزائري (ت875هـ) له شرح على الدرر يسمى "المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع" له نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية² برقم

1- انظر فهرس المكتبة الوطنية ص 97.

2- انظر الفهرس: ص 103

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

101-51، وقد طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1324 هـ، وهو أقدم شرح مطبوع للدرر.

- إبراهيم المارغني التونسي له شرح على الدرر يسمى "النجوم الطوالع على الدرر اللوامع" وهو مطبوع بتونس سنة 1322 هـ، وهو شرح متوسط كثير الفائدة.

- وهناك شراح آخرون لهذه المنظومة¹ منهم: المرسى، التجاني، الحصار، القلصادي، الجاديري، الوارثيني، ابن أجانا، الصغير، المصمودي، السلجماسي، الشوشاوي، الرجراجي، أبو عبد الله الجناني، أبو عبد الله بن الجراد، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري، أبو زيد بن القاضي، النكاسي، البلفيقي، الحضرمي، ابن مسلم القصري، أبو الحسن المطماطي، ابن عبد الكريم الأغصاوي.

- هـ/محاذاة الدرر وتفصيل وترجيح ما ورد فيها: بعض العلماء لم يقوموا بشرح الدرر اللوامع لكثرة ما عليها من الشروح والتعليقات، وإنما صرفوا همتهم لمحاذاها أو تفصيل ما ورد فيها أو ترجيح ما ذكر فيها من الخلاف، فمن قام بمحاذاها أبو عبد الله محمد بن محمد الحبيحي، نظم في ذلك رجز، ثم قام بشرحه.

- وأما الذين قاموا بتفصيل الطرق المذكورة في الدرر فمن أبرزهم الإمام ابن غازي في نظمه "تفصيل عقد الدرر"، فقد رأى أن ابن بري اقتصر على رواية ورش من طريق الأزرق فقط، ورواية قالون من طريق أبي بن شيب، فذكر الروايات والطرق الأخرى عن نافع والتي تصل إلى عشر طرق. وقد بلغت منظومة ابن غازي 149 بيتا، وقد شرح هذه المنظومة جماعة من العلماء منهم:

- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد القصري المعروف بالخباز (ت 1036 هـ) وسماه "بذل العلم والود في شرح تفصيل العقد" توجد نسخة منه بالخرانة الحسنية رقم 887 بمجموع 6 في 70 ورقة.

1- انظر القراءات والقراءات بالمغرب: ص 28-30.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

- أبو الفضل مسعود بن محمد بن جموع المغربي (ت 1119 هـ) شرح منظومة ابن غازي بشرح واسع بسط القول فيه سماه "كفاية التحصيل بشرح التفصيل" توجد منه نسخ خطية بالخزانة الحسينية بالرباط وبالمكتبة الوطنية بالجزائر.

- ومن الذين كتبوا في ترجيح ما ورد في الدرر من اختلاف أبو القاسم أحمد التازي، له في ذلك أرجوزة سماها "الدرة السنية في ترجيح خلاف البرية" بلغت أبياتها مائة بيت، لخص فيها كتاب التجريد الداني.

- وصفوة القول أن منظومة ابن بري شكلت محور حركة علمية هامة فيما يتعلق بقراءة الإمام نافع رحمه الله، وهي إلى يومنا هذا مصدرا هاما للمدرسين والمقرئين لا يستغنى عنه.

المبحث الثالث: الخصائص والمميزات العلمية للدرر اللوامع.

تميزت منظومة ابن بري بثلاثة أشياء قلما توجد مجتمعة في نظم واحد لاسيما إذا كان مختصرا مما يجعلها تحقق مراد ناظمها إذ يقول:

يكون للمبتدئين تبصرة ** وللشيوخ المقرئين تذكرة

وهذه الأمور الثلاثة هي: ذكر الخلافات والاختيارات والتوجيهات.

أ/عناية ابن بري بذكر الخلاف في نظمه: لم يقتصر ابن بري على ذكر المسائل المشهورة والأحكام المتفق عليها في روايتي ورش وقالون مما يحتاج إليه المبتدي بل ضمنها كثيرا من المسائل الخلافية التي يحتاج إليها المنتهي في هذا الفن. والخلاف الذي يذكره على أنواع أربعة: فأحيانا يذكر الخلاف بين القراء عموما. وأحيانا يذكر الخلاف بين القراء والنحاة، وأحيانا يذكر الخلاف بين الرواة عن الأزرق، وأحيانا يذكر الخلاف بين الرواة عن قالون. فمن النوع الأول (الخلاف بين القراء عموما) قوله:

- وفي المزيدي الخلاف وقعا.

- والخلف في فرق لفرق سهل.

- والخلف في هاء الضمير بعد ما ضمة أو كسرة أو أميها.

- ومن النوع الثاني (الخلاف بين القراء والنحاة) قوله: وهو الموضع الوحيد وإن أتت بالكسر بعد الضم ** فاخلف فيها بين أهل العلم فمذهب الأخفش والقراء ** إبدالها واوا لدى الأداء ومذهب الخليل ثم سيبويه ** تسهيلها كالياء والبعض عليه.
- وأما النوع الثالث (الخلاف عن الأزرق) فقد ذكر ذلك في أحد عشر موضعا وهي:
- وفي يؤخذ الخلاف وقعا وعادا الأولى وءالان معا.
 - وفي سوءات خلف لما في العين من فعلات.
 - وفي كتابيه خلف ويجري في إدغام ماليه.
 - وخلف ورشهم بنونا.
 - والخلف عنه في أراكم وما ** لا راء فيه كاليتامى ورمى.
 - والكافرين مع كافرين ** بالياء والخلف بجبارين.
 - وراوها يا ثم ها طه وحا ** وبعضهم حا مع ها يا فتحا.
 - والسير والطير وفي حيران ** خلف له حملا على عمران.
 - والخلف في طال وفي فصلا ** وفي ذوات الياء إن أمالا .
 - ورأيت وها أنتم سهلا عنه ** وبعضهم لورش أبدا.
- وأما النوع الرابع (الخلاف عن قالون) فقد ذكر ذلك في عشرة مواضع وهي:
- وصل بطه الهاء له من ياته ** على خلاف فيه عن رواته .
 - والخلف عن قالون في المنفصل.
 - ومد قالون لما تسهلا ** بالخلف في أشهدوا ليفصلا .
 - في حربي الأحزاب بالتحقيق ** والخلف في بالسوء في الصديق.
 - واركب ويلهث والخلاف فيهما ** عن ابن مينا والكثير أدغما.
 - وقد حكى قوم من الرواة ** تقليل ها يا عنه والتوراة.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

- ويا أوزعني معا وفي إلى ** ربي بفصلت خلاف فصلا.

- والواد في الفجر وفي التناد ** مع التلاق خلف عيسى بادي.

- لكنه وقف في ءاتان ** قالون بالإثبات والإسكان.

- أنا إلا مده بخلف ** وكلهم يمه في الوقف.

ب/عناية ابن بري بذكر الاختيارات والترجيحات في نظمته: من اللافت للنظر

في هذه المنظومة ما يشير إليه الإمام ابن بري من فينة إلى أخرى من اختيارات وترجيحات في مسائل اختلف فيها الرواة عن ورش أو قالون، تنم عن إطلاع واسع، وتحقيق دقيق، وعلم عميق، فمن ذلك اختياره لفظ الاستعاذة الوارد في سورة النحل بقوله:

وقد أتت في لفظه أخبار ** وغير ما في النحل لا يختار

واختياره السكت بين السورتين عن ورش في قوله:

واسكت يسيرا تحظ بالصواب.

واختياره السكت أيضا بين الأربع الزهر وذلك في قوله:

والسكت أولى عند كل ذي نظر ** لأن وصفه الرحيم معتبر

واختياره الوقف على ميم الجمع بالسكون دون إشارة بروم أو إشمام، وذلك في

قوله:

وتركها أظهر في القياس ** وهو الذي ارتضاه جل الناس

واختياره المد فيما تغير سببه، أو من أجل السكون العارض، وذلك في قوله:

والخلف في المد لما تغيرا ** ولسكون الوقف، والمد أرى

واختياره التوسط في مد البدل، وذلك في قوله:

وبعدها ثبتت أو تغيرت ** فاقصر وعن ورش توسط ثبت

واختياره القصير في ياء إسرائيل، واستثناؤه من مد البدل وذلك في قوله:

ويا إسرائيل ذات قصر هذا ** الصحيح عند أهل مصر

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

واختياره المد في العين من فاتحة مريم والشورى وذلك في قوله:

ومد للساكن في الفواتح ** ومد عين عند كل راجح

واختياره الترقيق في ذكرى الدار عند وصلها، وذلك في قوله:

والخلف في وصلك ذكرى الدار ** ورققت في المذهب المختار

واختياره التغليظ في لام طال وفصلا، وذوات الياء الممالاة واللام الساكنة عند

الوقف إذا كانت مغلفة عند الوصل، وذلك في قوله -بعد أن حكى الخلاف فيها-

والخلف في طال وفي فصلا ** وفي ذوات الياء إن أملا

وفي الذي يسكن عند الوقف ** فغلظن واترك سبيل الخلف

واختياره الترقيق في اللامات في رؤوس الآي وذلك في قوله:

وفي رؤوس الآي خذ بالترقيق ** تتبع وتتبع سبيل التحقيق

ج/ عناية ابن بري بذكر التوجيهات في نظمه: من الأمور التي عني بها ابن بري

ذكر التوجيهات والتعليلات في نظمه، وقد أشار إلى هذا في مقدمة نظمه فقال:

أوردت ما أمكنني من الحجج ** مما يقام في طلابه حجج

وقد أحصيت اثنين وعشرين موضعا ذكر فيه تعليقات نحوية وصرفية ولغوية لبعض

الأحكام عند ورش وقالون معتمدا في ذلك على مصنفات هذا الفن المعتمدة، مقتصرًا على

أصح التعليقات وأقواها، وفي هذا المسلك من الإمام ابن بري ربط بين علم القراءات وعلم

توجيه القراءات، وهو أشبه ما يكون بربط الفقه بأدلته وحججه، ولا يخفى أثر ذلك في

استيعاب المسائل، وتعميق الفهم، واستحكام الملكة. فمن ذلك تعليله للصلة في هاء الضمير

بقوله: واعلم بأن صلة الضمير بالواو أو بالياء للتكثير.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

وهذا الذي ذكره موافق لما عليه أئمة الفن كمكي بن أبي طالب¹، وأبي العباس المهدي²، وغيرهما. وتعليله ترك الصلة عند نافع في "يرضه" والصلة في "ويره" بقوله:

ونافع بقصر يرضه قضى ** لثقل الضم وللذي مضى

ولم يكن يراه في هاء يره ** مع ضمها وجزه إذ غيره

لفقد عينه ولا مـه فقد ** ناب له الوصل مناب ما فقد

وهذا التعليل مأخوذ مما ذكره أئمة هذا الشأن³، وتعليله القصر في سوءات وموئلا والمؤودة بقوله:

والواو والياء متى سكنتا ** ما بين فتحة وهمز مدتا

له توسطاً وفي سوءات ** خلف لما في العين من فعلات

وقصر موئلا مع المؤودة ** لكونها في حالة مفقودة.

وهو موافق لما ذكره أئمة الفن⁴، وغيرها من التوجيهات الدقيقة والتعليلات القوية

الاستدراكات على ابن بري: كشأن أي عمل بشري لا يسلم صاحبه من بعض

النقائص والملاحظات التي تتجه إليه من أجل إكمال النقص، وتسديد الخطأ، ولم يكن نظم

العلامة ابن بري بمنأى عن ذلك، فقد سجل كثير من الشراح بعض الملاحظات على

منظومته، أردنا الإشارة إليها تميماً للفائدة، وتنبيهاً لطلاب العلم. فمن ذلك

- ذكره إخفاء التعوذ عن نافع من رواية المسيبي، في قوله:

- والجهر ذاع عندنا في المذهب ** به والاختفاء روى المسيبي

1- انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د/حجي الدين رمضان -ط5-

مؤسسة الرسالة بيروت: 1/ 42.

2- انظر شرح الهداية، تحقيق د/حازم سعيد حيدر -ط1- مكتبة الرشد الرياض: 1/ 26.

3- انظر شرح الهداية: 1/ 225، والكشف: 1/ 349-350.

4- انظر شرح الهداية: 1/ 37.

الإمام ابن بري ----- د. أبو بكر كافي

لأن النظم موضوع في رواية ورش وقالون وليس الإخفاء مذهبا لهما¹

- وانتقد في قوله: واختارها بعض أولي الأداء ** لفضلها في أول الأجزاء

فالذي نص عليه أبو عمرو الداني وغيره إنما هو التخيير فيها لا اختيارها، والتخيير خلاف الاختيار، وكان حق المصنف أن يقول: وبعضهم خير في الأداء فيها لدى أول الأجزاء²

- وانتقد أيضا في قوله: وكلها سكنها قالون ** ما لم يكن من بعدها سكون

إذ اقتصر لقالون على الإسكان في ميم الجمع فقط وإن كان هو الأشهر فهو أحد الطرق له، والطريق الثاني الضم مطلقا والثالث التخيير في الوجهين للخلاف فيهما.³

- وانتقد أيضا في قوله: واختلس العين لدى نعما ** وفي النساء لا تعدوا ثما

وها يهدي ثم خا يخصون ** إذ أصل ما اختلس في الكل السكون

فقد اقتصر الناظم على الاختلاس في الألفاظ الأربعة تبعا لجماعة منهم الشاطبي، وكان حقه أن يذكر لقالون الإسكان فيها أيضا لأنه ذكره الداني في التيسير وجعله هو النص عن قالون⁴. وفي ختام هذه الجولة العلمية مع هذه المنظومة الماتعة النافعة نؤكد على ما يلي:

- ضرورة الاعتناء بالتراث المغربي في علم القراءات والقيام على نشره وتحقيقه والتعريف به ودراسته في بحوث علمية أكاديمية وفرق بحث متخصصة.

- الاهتمام بشروح منظومة ابن بري والكتب التي عنيت بها بتحقيق المخطوط منها، وإعادة نشر ما طبع منها وخدمته الخدمة العلمية اللائقة به.

- إدراج هذه المنظومة ضمن المقررات الدراسية في المدارس القرآنية، والجامعات والكليات الشرعية.

1- انظر المختار من الجوامع: ص 8

2- المصدر نفسه: ص 10.

3- النجوم الطوالع: ص 36.

4- المصدر نفسه: ص 186.